

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: <https://www.researchgate.net/publication/350615980>

# الثورة المصرية في الرواية

Article · April 2021

CITATIONS  
0

READS  
100

1 author:



Ahmed Elwany  
Sohar University

42 PUBLICATIONS 0 CITATIONS

SEE PROFILE

Some of the authors of this publication are also working on these related projects:



ألف ليلة وليلة View project



النقد الثقافي View project

# هيريت الثقافية

HERIT EL THAQAFIYA

كتاب أسير غير موزون | العدد 28 | إبريل 2021

تصدر عن دار ميريت للنشر

الحروب  
وتأثيراتها في  
القصة العراقية



احترام لا غزو.. مصر  
بين خيارين في  
علاقتها بأفريقيا

صلاح فائق:  
أقوم بعملية الثوري  
والتخريبي كل يوم!

غرابة الأدب في كتاب مؤسس لشاكر عبد الحميد



مصر في  
قلب أفريقيا..  
استعادة الدور  
الغائب





د. أحمد علواني

## الثورة المصرية في رواية «السمان والخريف» لنجيب محفوظ

رواية «السمان والخريف» وقد اکتنزت بالمشاهد السردية التي تصور أحداث ثورة يوليو 52، وفي نفس الوقت تجعل المتلقي يستحضر أحداث ثورة 25 يناير 2011. وكأن «نجيب محفوظ» ما زال حياً لم يمّت، فتصويره لثورة الماضي التي عاصرها آنذاك يلتحم بشكل أو بآخر مع ثورة المستقبل -يناير المجيدة- وكأنه بين ظهرانينا يشاهد ويصور ويصف ويكتب. إن «نجيب محفوظ» لا يصور لنا الماضي المنصرم بقدر ما يشرح لنا ثورة الحاضر القريب.

يناير 2011)؟ هذا ما نطرحه، ونأمل أن نجيب عنه. ويمكن أن نعيد طرح السؤال بصيغ عديدة: ماذا لو كان «نجيب محفوظ» لا يزال حياً بين ظهرانينا، وشهد أحداث ثورة 25 يناير 2011 وما مرت به مصر من تحولات سياسية وحركات تطهيرية.. كيف كان سيصور لنا ثورة يناير 2011؟! ولا شك أن طرح مثل هذه التساؤلات تُعدُّ ضرباً من الخيال الجامح، فمن المستحيل أن يُبعث «نجيب محفوظ» من جديد؛ ولكن من الطريف أن تصوير «نجيب محفوظ» لثورة يوليو 52 يتماهى في مشاهد سردية بعينها مع ثورة الخامس والعشرين من يناير ألفين وأحد عشر. تدور أحداث رواية «السمان والخريف» في إطار زمني يقترب من خمس سنوات، حيث تبدأ الرواية بحريق القاهرة، ثم حركة ضباط الجيش وقيام ثورة يوليو 52 وطرد الملك، وتأميم قناة السويس

### التلاحم الثوري

**من** يقرأ رواية «السمان والخريف» لنجيب محفوظ ويتأمل كيف صوّر الكاتب ثورة يوليو 1952، وكيف وصف سقوط الملكية وحل الأحزاب السياسية؟ سيلحظ أن هذه الأحداث المنصرمة تعكس في طياتها أحداث الحاضر القريب، وكأن ثورة الماضي تلتحم بثورة الخامس والعشرين من يناير 2011.

ومن ثمّ سنُعيد في هذه الدراسة قراءة رواية «السمان والخريف» قراءة نقدية جديدة: إنها قراءة ثورية، سنحاول فيها تأويل السرد تأويلاً ثورياً، خاصة أن التجربة التي يطرحها «نجيب محفوظ» في «السمان والخريف» هي تجربة الثورة، إنها ثورة (يوليو 1952) التي اندلعت في الماضي؛ فهل تتماهى أو تتلاحم في تصويرها مع ثورة (25



والعدوان الثلاثي على مصر. كل هذه الأحداث يعالجها الكاتب في روايته، كل هذه الأحداث مطروحة أو موجودة بين دفتي رواية جاءت في مائة وسبع وخمسين صفحة، ولنا أن نتخيل حال المؤرخين إذا أرادوا أن يؤرخوا لكل هذه الأحداث في كتاب، فلا شك أنه سيتعدى هذا العدد بكثير. ويتبلور التلاحم الثوري؛ أي بين الثورتين (يوليو 52 ويناير 2011) في المشاهد السردية التي صورت ثورة الماضي (يوليو 1952) وعكست بشكل أو بآخر ثورة الحاضر القريب (يناير 2011)، ومن أبرز هذه المشاهد:

1- مشهد الصورة:

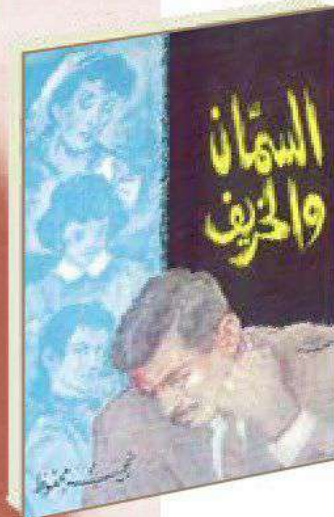
يصور لنا «نجيب محفوظ» مشهداً سردياً يجسد فيه إزالة صورة «الملك فاروق» لتحل محلها صورة أخرى تحمل اسم الله<sup>(1)</sup>. ولعل صورة لفظ الجلالة (الله) حملت بعداً دلاليًا، وطموحًا نحو تطبيق العدالة الإلهية. ولا شك أن القارئ لمشهد إزالة صورة «الملك» في الماضي، سيستحضر مشهداً واقعيًا رأيناه ضمن المشاهد المرئية على الشاشات التلفزيونية، وهي لحظة إزالة صورة الرئيس الراحل محمد حسني مبارك من مجلس الوزراء.

2- مشهد المتحولين سياسياً:

يعرض لنا «نجيب محفوظ» نماذج للشخصيات التي عاشت في ظل «الملك»، وأبدت ولاءً سياسياً للملك والأحزاب السياسية آنذاك، والغريب هو تحول هذه الشخصيات مع التحولات الثورية، وسقوط الملكية. فهؤلاء المتحولون أشبه حالاً بالحرباء التي تتلون مع البيئة والمناخ الجديد، فنقرأ في الرواية:

«ها هو إبراهيم خيرت

المحامي وعضو مجلس النواب السابق يتحمس للثورة بقلمه في أكثر من صحيفة، كأنه ضابط من رجالها! ويهاجم الأحزاب والعهد البائد كأنما لم يكن أحد رجاله»<sup>(2)</sup>. ولا شك أن الوصف السابق ينطبق على كثيرين من





توظيفاً رمزياً، ولذلك فلن يقف كثيراً عند وصف الشخصية أو يبذل جهداً كبيراً في تحليلها نفسياً محاولاً إخراج ما يعتمل بداخلها للقارئ؛ ولكن يكتفي من إيرادها بالرمز، فتأتي المرأة في علاقتها بالبطل بمثابة الرمز. ولقد رأى «رجاء النقاش» أن «نجيب محفوظ» في «السمان والخريف» لم يعد يرسم شخصياته رسماً تفصيلياً فيقول: «نجد شخصيات يرسمها نجيب محفوظ رسماً عابراً دون أن يهتم بالتفاصيل والجزئيات، فزوج «عيسى» بطل الرواية لا تستغرق من اهتمامه أكثر من بضع صفحات»<sup>(4)</sup>. وهذا يؤكد لنا أن «نجيب محفوظ» يوظف المرأة في علاقتها بالبطل توظيفاً رمزياً، مما يجعله لا يهتم بتفاصيلها الواقعية، ولنضرب الأمثلة الدالة على ذلك من خلال تحليل علاقة البطل بالمرأة في الرواية:

سلى / السياسة:

إذا قمنا بتحليل شخصية «سلى» من حيث علاقتها بالبطل سنكتشف أنها ترمز إلى «السياسة بوجهها الانتهازي»<sup>(5)</sup>. فعلاقة «البطل» بـ«سلى» تقوم على المصلحة، حيث تقبله وترتبط به متى كانت الحياة مقبلة عليه، وترفضه وتفسخ خطبتها منه إذا أدبرت الحياة عنه، والملاحظ أن انتهازية «سلى» أو انتهازية السياسة، تظهر بوجهين، وجه صريح من خلال أبيها، ووجه مراوغ أو غير مباشر.

فالوجه الصريح لها يظهر من خلال أبيها «على بك سليمان» الذي أخذ يتردد في زواج ابنته من البطل / «عيسى الدباغ»، وذلك بعد فصله من عمله، ورأى الأب من العقل ألا تستمر الخطبة، وناقش «عيسى» في ذلك، ودار بينهما حوار عنيف أنتهي بطرد «على بك» لـ«عيسى الدباغ» وفسخه للخطبة بشكل صريح.

أما الوجه المراوغ لـ«سلى» / السياسة فيظهر

حينما أخذ «عيسى» يتمسك بها، ويحرص

على لقاءها والحديث معها، ولكن جوابها أتى

كالصفعة<sup>(6)</sup>. ومن الملاحظ أن الكاتب لم يُصرح

بذكر الجواب أو رد «سلى» على طلب «عيسى»،

ولكن فيما يلي من أحداث ستظهر انتهازية السياسة

بوجهٍ سافر عندما يقبل «علي بك سليمان» زواج

المتحولين سياسياً إبان ثورة يناير، خاصة من أطلق عليهم فلول النظام السابق، من أعضاء الحزب الوطني المنحل، وأيضاً من الإعلاميين والصحفيين، وكتاب الأعمدة، فهؤلاء كانوا بمثابة الأبواق التي تُمدج في نظام «مبارك» وحزبه، وما لبثوا أن تحولوا مع الثورة، وتلونوا كالحرباء ليمجدوا في شباب 25 يناير ويتحمسوا للثورة ويلعنوا العصر البائد، والحزب المنحل.

### البطل بين اليأس والأمل

لقد بدأت أحداث الرواية بالحريق والدمار الذي سينعكس فيما بعد على بطل الرواية / «عيسى إبراهيم الدباغ» الذي يعمل مديراً لمكتب أحد الوزراء، وبذلك فهو جزءٌ من النظام، وكان «عيسى» يتطلع ليكون وزيراً؛ ولكن طموحه لم يتحقق، فقد أقيمت الحكومة عقب «حريق القاهرة» وتم نقل «عيسى» إلى قسم «المحفوظات».

ولم يقتصر الأمر على نقله؛ إذ تعرض «عيسى» للتحقيق من قبل لجنة التطهير عقب الثورة، وقد ثبت فساده الإداري والسياسي وحصوله على الهدايا والتحف والأموال من وراء تعيين العمدة وعزلهم؛ ولذلك قررت اللجنة عزله عن عمله وإحالاته للمعاش المبكر. ويتضخم داخل البطل الشعور باليأس وتتكون لديه رغبة ملحّة في البعد عن البلاد إلى «مكان مجهول للأبد، مكان لا سياسة فيه ولا وظائف ولا ثورات ولا ماضي»<sup>(3)</sup>.

وتأتي النهاية عكس البداية حيث يفتح الكاتب أمام البطل باب الأمل، وذلك عندما يظهر له الشاب الذي يرمز إلى العصر الجديد، وكأن هذه النهاية ما هي إلا محاولة لإقامة علاقة أمل ووثام بين «عيسى الدباغ»، وهو الوفدي الثوري القديم، وبين «الشاب اليساري» الذي يمثل العصر الجديد.

### علاقة البطل بالمرأة / علاقة رمزية

من أهم علاقات البطل المبتورة أو التي لم تكتمل هي علاقته بالمرأة، ومن الملاحظ أن «نجيب محفوظ» لا يرسم المرأة رسماً تفصيلياً؛ ولكن يوظفها

**من أهم علاقات البطل المبتورة أو التي  
لم تكتمل هي علاقته بالمرأة، ومن  
الملحوظ أن "نجيب محفوظ" لا يرسم  
المرأة رسماً تفصيلياً؛ ولكن يوظفها  
توظيفاً رمزياً، ولذلك فلن يقف كثيراً  
عند وصف الشخصية أو يبذل جهداً  
كبيراً في تحليلها نفسياً محاولاً إخراج  
ما يعتمل بداخلها للقارئ؛ ولكن  
يكتفي من إيرادها بالرمز، فتأتي المرأة  
في علاقتها بالبطل بمثابة الرمز**



رجاء النقاش

«سلوى» من «حسن» وذلك حتى «يمد» نفوذه إلى العهد الجديد بزواج ابنته من رجل الثورة «حسن»<sup>(7)</sup>.

وهكذا طردت السياسة «عيسى» من حياتها بلا رجعة؛ لتفتح أحضانها مستقبله رجلاً من رجال الثورة الجديدة.  
قدرية/ الماضي:

ترمز هذه الشخصية إلى الماضي؛ لأن والدها من الزعماء السياسيين زمن الملكية<sup>(8)</sup>، كما أنها عاقر كماضي البطل / «عيسى»، ورغم ذلك يتمسك البطل بها، عندما يصادفها في صفقة بيعه للبيت، فيفكر في الزواج منها، ونجده لا يفكر فيها من أجل الزواج والاستقرار العائلي؛ ولكن يعتبر الزواج منها نوعاً من التأمين الاجتماعي لما تتمتع به من مال وثروة، فلم ينظر إلى كونها عاقراً؛ إذ لا يهمه إنجاب الذرية بقدر ما يهمه اغتنام المال.

علاوة على ذلك، فإن رغبة البطل في الزواج من «قدرية» والتمسك بها يعكس رغبة البطل في التعايش مع الماضي رغم عيوبه. وبعد الزواج يمل «عيسى» من زوجه «قدرية» / الماضي العاقر، وتتضخم مشاجراته معها يوماً بعد آخر، ويتدخل الأصدقاء ويقترحوا عليه أن يعمل، وليأخذ هدنة مع نفسه ويذهب بزوجه إلى الإسكندرية ولكنه أحس أنه: «لا يتقدم خطوة في طريق السعادة: زواج بلا حب، حياة بلا أمل، ومهما وفق إلى عمل فسيظل

بلا عمل»<sup>(9)</sup>.

وسيتأكد القارئ أن «قدرية» ما هي إلا رمز فني للماضي، فعلى الرغم من الغنائم التي حصل عليها البطل عندما ارتبط بها إلا أنها لا تنجب، وكذا حياته مع ذكرياته في الماضي لا تثمر. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن قدرية والماضي وجهان لعملة واحدة.

### البطل ورغبة الغياب عن الحاضر

يهتم «نجيب محفوظ» بتحليل شخصية «عيسى» تحليلاً فنياً، يكشف عن فلسفة «عيسى» الشخصية، رؤيته لماضيه وحاضره، قراره المستقبلي، خلجاته النفسية وما يعتمل بين جوانحها من رغبة في الهروب من الحاضر.

صار «عيسى» منبوذاً سياسياً في العهد الجديد وبعد ثورة يوليو 52، ولم يستطع أن يتحول مع المتحولين الجدد، فهو ثمل على الدوام يقضي حياته مع الكأس والوحدة والظلام، حتى يلتقي بريري/ البغي، ويرى أن بينهما تشابهاً، فهي طريدة المجتمع وهو طريد السياسة الجديدة.

ويأخذ «عيسى» قراره بهجر القاهرة، والهروب من واقعه المحزن، فيرحل إلى الإسكندرية ويشترى



يوظف «نجيب محفوظ» تمثال سعد زغلول في الرواية تمثيلاً رمزياً، فلا يأتي التمثال بوصفه شاهداً منحوتاً؛ لتخليد ذكرى الزعيم الراحل، بل يأتي بوصفه رمزاً دالاً على الماضي، فالبطل يرتبط به ارتباطاً حميمياً، حيث يمثل التمثال مرفأ الحماية وبر الأمان، يذهب إليه، يجلس أسفل منه، وفي ذهابه إليه إنما يذهب إلى الماضي؛ ليرتاح في ظلالة: فتقرأ في الرواية: «ومال بعد مشية غير قصيرة إلى الميدان ثم جلس على أريكة تحت تمثال سعد زغلول. أغلب الأرائك خالية»<sup>(12)</sup>. وواضح أن المكان خال من البشر إلا من البطل الذي يجلس أسفل التمثال، «فالبطل متمسك بالماضي متعلق به، فهو وفدي في عالم لم يعد للوفد فيه مكان ولا دور، إن البطل يحن إلى الماضي حيث كان شيئاً في الحياة وحيث كان له دور وآمال وتطلعات، إنه يحاول أن يتعلق بخيوط الماضي الرفيعة لعلها تعطيه من ذكرياتها بعض الدفء وهو غارق في أزمته»<sup>(13)</sup>.

### دلالة العنوان: السمان والخريف

رأينا أن نؤخر الحديث عن العنوان، وحتى لا يُظن بنا أننا نؤخر ما حقه أن يُقدم، نقول بأن الكشف عن دلالات العنوان لا تظهر للمتلقي من الوهلة الأولى، ولكن بعد الانتهاء من عملية القراءة؛ لأن عنوان الرواية يحتوي على صورة استعارية، فقد صور الكاتب البطل بـ«السمان»، في حين صور الحياة السياسية للأحزاب المصرية بـ«الخريف»، فالبطل أشبه ما يكون بطائر السمان الذي يقطع رحلة طويلة حتى يصل إلى «ما خاله شاطئ الأمان فتتلقاه الشباك فيتهاوى صيداً سهلاً»<sup>(14)</sup>. و«عيسى إبراهيم الدباغ» أشبه حالاً بـ«السمان»، فقد قطع «عيسى» رحلة طويلة من النضال وكان على طليعة ثورة 19، فصار حطاماً لثورة 52، فوقع في شباك لجنة التطهير التي عقدت بعد نجاح ثورة يوليو 52، وقد استكان «عيسى» لشرك الصيادين ولم يواصل رحلته في الحياة، وعزف عن المشاركة الحزبية والسياسية، وظل راكداً، خاملاً، ينادم الكأس ويحتسي الخمر، وهكذا تحول ربيع حياته السياسية إلى خريف يتسم بالسكون والجفاف

شقة وينفصل عن القاهرة حيث السياسة والحكم: «قال لنفسه: ما أجمل أن يعيش الإنسان بعيداً عن منطقة الوعي!»<sup>(10)</sup>. حيث أخذ يعاقر الخمر ويدخل في متاهة السكر وما يرتبط به من غياب العقل؛ لأنه يرغب في تغييب عقله بعيداً عن التفكير في تطورات الواقع، ومن ثم يدخل بعقله إلى فضاء اللاوعي، فكما انتقلت عليه الذكريات، بين ما كان وما هو عليه الآن، كلما هرع إلى الخمر ليصب في جوفه بعض كاسات من الخمر.

### توظيف الأشياء في الرواية

لا تأتي الأشياء المادية في الرواية بوصفها مكملات هامشية أو ديكورات شكلية في المشاهد الوصفية؛ ولكن يقوم الكاتب بتوظيفها توظيفاً فنياً له دلالاته وقيمتها.

1- الشيء بين القيمة والغنيمة:

يرى البطل أن الأشياء الثمينة التي حاز عليها بفضل منصبه القديم بمثابة الغنيمة التي غنمها، ويرى في مشاهدتها عزاءً له فيما فقده، فتقرأ: «راح يتجول في المسكن على مهل، يا له من مقام نفيس! لا يمكن الاحتفاظ به بعد الآن، مرتب عامين ورصيد في البنك من نفحات العمد؛ ولكن هل يكفي ذلك إلا عامين آخرين؟! وجميع هذه التحف التي تزين المدخل والاستقبال والمكتبة هي أيضاً «هدايا»<sup>(11)</sup>.

على هذا النحو أخذ «عيسى» يعزي نفسه بالغنائم التي جمعها، والغريب أن «عيسى» لا يفكر فيما فعله من فساد وتلقي الرشاوى، بقدر ما يفكر في قيمة الأشياء التي حصل عليها كرشاوى، جاءت في صور: تحف، وهدايا فخمة، وشقة في الدقي، وأموال كونت له رصيماً بنكياً لا بأس به.

2- الشيء بين الحقيقة والرمز:

إن توظيف الأشياء للربط بين الماضي الحاضر في الرواية لا يمكن اعتباره ربطاً عبثياً، فالكاتب يوظف الأشياء لما تتيحه له من معانٍ ودلالات ورموز يوظفها بفنية، ويؤمن بأن أثرها وتأثيرها سيصل إلى المتلقي، وذلك عندما يسלט الضوء على الحاضر بالارتكاز على أشياء من الماضي، حيث

وصالحٌ للقراءة والتأويل مهما مرت عليه السنون، فالقارئ لأدبه بمقدوره أن يُعاود قراءته وفي كل مرة سيقف على دلالة كانت غائبة عنه، وها نحن نُعيد قراءة أعماله من حينٍ لآخر فنكتشف أنها حيةٌ لم تمت، بموت مؤلفها، بل خلدته بخلودها وصلاحياتها للتلقي.

وقد رأينا ذلك في رواية «السمان والخريف» وقد اكتنزت بالمشاهد السردية التي تصور أحداث ثورة يوليو 52، وفي نفس الوقت تجعل المتلقي يستحضر أحداث ثورة 25 يناير 2011. وكأن «نجيب محفوظ» ما زال حياً لم يموت، فتصويره لثورة الماضي التي عاصرها آنذاك يلتحم بشكل أو بآخر مع ثورة المستقبل -يناير المجيدة- وكأنه بين طهرانينا يشاهد ويصور ويصف ويكتب.

إن «نجيب محفوظ» لا يصور لنا الماضي المنصرم بقدر ما يشرح لنا ثورة الحاضر القريب، ولنا أن نتأمل في هذه العبارة الوجيهة التي تلخص لنا المشهد الثوري: «كنا طليعة ثورة فأصبحنا حطام ثورة!»<sup>(16)</sup>. تأتي هذه العبارة على لسان «سمير عبد الباقي» وهو رفيق البطل «عيسى الدباغ» في الحياة الحزبية والسياسية؛ بمعنى أن حزب الوفد الذي كان طليعة ثورة 19 صار رجاله حطاماً لثورة 52 ●

والخواء. لقد جعل «نجيب محفوظ» نهاية الرواية أو نهاية السمان / البطل / عيسى الدباغ نهاية تمتلئ بالرجاء والأمل. حيث جعل السمان ينفلت من الشباك فلم يسقط، فيمد لـ«عيسى الدباغ» طوق النجاة وهو «الشاب» الذي يظهر له، ويتحاور معه، ويحمسه على الحركة والعمل، ويدعوه إلى مواكبة الحاضر ومواجهة الواقع ونسيان ما كان في الماضي، وينتهي الأمر بأن يتحرك «عيسى» من ركوده وجموده فيحلق ويتقدم ليخطو نحو المستقبل، فقد قال لنفسه: «أستطيع أن ألحق به على شرط ألا أضيع ثانية في التردد. وانتفض قائماً في نشوة حماس مفاجئة. ومضى في طريق الشاب بخطى واسعة تاركاً وراء ظهره مجلسه الغارق في الوحدة والظلام»<sup>(15)</sup>. وبذلك يتحول سقوط البطل وصيده إلى انفلات وطيوان، كما يتحول خريف حياته السياسية إلى ربيع حار، ولا ندري هل أراد «نجيب محفوظ» من وراء هذه النهاية أن يرمي بأمل؟ لعل الإجابة على كثير من تساؤلات الماضي وأيضاً الحاضر ستكشف عنها الأيام المقبلة، عندما يتحدد مصير ثورة الحاضر التي التحمت بثورة الماضي. ختاماً: لا نملك إلا الاعتراف بأن أدب «نجيب محفوظ» يمثل أدباً حقيقياً؛ لأنه قادرٌ على البقاء،

## الهوامش:

- 1- نجيب محفوظ: السمان والخريف، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص40.
- 2- نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص39.
- 3- س، ن: ص50.
- 4- رجاء النقاش: الواقعية الوجودية في «السمان والخريف»، دراسة ضمن كتاب: «أدباء معاصرون»، القاهرة، 1968، ص131.
- 5- سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، ص310.
- 6- السمان والخريف: صص53-54.
- 7- سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص316.
- 8- نجيب محفوظ: السمان والخريف، صص108-109.
- 9- س، ن: ص140.
- 10- س، ن: ص39.
- 11- س، ن: ص46.
- 12- س، ن: ص154.
- 13- رجاء النقاش: الواقعية الوجودية في «السمان والخريف»، مرجع سابق، ص136.
- 14- سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص304.
- 15- نجيب محفوظ: السمان والخريف، ص157.
- 16- س، ن: ص57.